الشيخ محمد زكرياحياته وجهوده العلمية في اللغة العربية

Dr. Muhammad Ans
Lecturer Department of Arabic,
University of Sargodha, Sargodha Pakistan
Email: muhammad.ans@uos.edu.pk

Abstract:
This research examines Sheikh Muhammad Zakariya al-Kandahlawi's significant contributions to the service and promotion of the Arabic language, with a particular focus on his scholarly commentary on Al-Muwatta of Imam Malik — the earliest systematically arranged Hadith collection in Islamic history. Composed in the Indian Subcontinent, his work not only elucidates the Hadith text but also engages deeply with core linguistic domains such as phonetics, morphology, syntax, and semantics. His precise treatment of issues such as the fāʿil (subject) in verbal sentences serves as a case study of his grammatical expertise. Through these examples, the study situates Sheikh Zakariya within the broader tradition of Hadith commentators whose linguistic analysis has shaped both religious understanding and Arabic scholarship in non-Arab regions. By exploring his methods, sources, and pedagogical approach, this research opens avenues for further investigation into the intersection of Hadith sciences and Arabic linguistics, as well as the spread of the Arabic language in non-Arab contexts.

Keywords: Sheikh Muhammad Zakariya al-Kandahlawi, Arabic language, Al-Muwatta, Hadith commentary, linguistic analysis, phonetics, morphology, syntax

اسمه

هو محمد زكريا بن محمد يحي بن محمد إسماعيل بن الطبيب غلام حسين بن كريم بخش بن الطبيب غلام محيي الدين بن محمد ساجد بن فيض محمد بن شاه محمد شريف بن محمد اشرف بن جمال محمد بن نور محمد المعروف بابن شاه بن بهاء الدين بن شيخ محمد (1)ينتهى نسبه إلى صاحب الغار الخليفة الاول– رضي الله عنه ـ(2)

لقبه :لقِّب الشيخ محمد زكريا بـ "شيخ الحديث" لما تميّز به من عمق الفهم في علوم الحديث ودقّة النظر فيها، وقد منحه هذا اللقب شيخه خليل أحمد السهارنفوري لما لمس فيه من سعة الاطلاع والبراعة في هذا المجال. (3)

مولده

وُلد الشيخ في قرية كاندهلة يوم الخميس، العاشر من رمضان سنة 1315هـ (الموافق 12 فبراير 1898م) في الساعة الحادية عشرة ليلاً(4)، وسُمّي عند ولادته باسمين: محمد موسى ومحمد زكريا، لكن الاسم الثاني غلب على الأول. (5)

أسرته

نشأ في أسرة علمية معروفة بالتدين والصلاح والورع، وكان والده الشيخ محمد يحيى من كبار علماء الهند في العلوم النقلية والعقلية، وحافظاً لميراث مرشده الثمين صاحب الفضل الكنكوهي، وقد جمع علومه التي ألقاها خلال تدريسه لكتب الحديث الكبرى مثل صحيح البخاري وجامع الترمذي وغيرها من الكتب الستة. عمل الشيخ زكريا بالتدريس في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور فترة من الزمن دون أن يتقاضى أجراً، كما أسّس متجرالكتب باسم " المكتبة محمد يحيى " ليتخذ فوائدها . (6)

يذكر الشيخ على ميان–رحمه الله– تولد محمد زكريا في أسرة عريقة الجذور في االتدين،والمجد امتاز رجالها وأسلافها بالهمم العالية، والمجاهدة العنيفة، والتشبث الصارم بالشريعة،والثبات عليها. ومن أشهر شخصيات هذه الأسرة في الأجيال السابقة: صاحب المعالي ،مرجع الخلائق إلهي بخش الكاندهلوي ، الذي كان من اجل تلاميذ بقية السلف عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، وخليفة المجاهد الشهير السيد أحمد الشهيد البريلوي. وأما في الأجيال المتأخرة، فأبرزهم عمه الداعية الكبير إلى الله، ذو سمعة عالية فى أنحاءالعالم، محمد إلياس الكاندهلوي ، مؤسس دعوة التبليغ، الذي ترك أثراً واسعاً في ميدان الدعوة الإسلامية. كما ضمّت الأسرة غيرهما من العلماء والدعاة الذين درسوا وجاهدوا حق جهاده. وكان من نفس الأسرة الكريمة أيضاً جده الذي أجمع الناس على إخلاصه وصلاحه وزهده ،صاحب الفضل العظيم محمد اسماعيل. (7) .

وأما جدته ، فقد كانت من حملة كتاب الله تعالى، حفظته عن ظهر القلب بعد ماتزوجت آنذاك كان نسمتها محمد يحيى رضيعا، وكانت في شهر رمضان المبارك تختم القرآن كاملاً مع عشرة أجزاء إضافية يومياً، فكانت تختمه في كل رمضان أربعين مرة، مع قيامها بأعباء المنزل وشؤونه. (8)-

نشأته وطلبه العلم

نشأ الإمام محمد زكريا في بيئة غنية بالعلم والصلاح، وهاجر مع والده إلى ار ض ذات خصبة بنسبة العلم والفضل ،وهى قرية كنكوه تقع في محافظةسهارنفور بولاية أترابراديش، وهنالک تتلمذ

محمد زكريا على يدي العالم العبقري الشيخ رشيد أحمد فريد عصره، الذي أولاه رعاية خاصة وحناناً أبوياً، لما كان بينه وبين والده من علاقة خاصة. فلما حباالشيخ زكريا من عمره السنة الثامنة، انتقل الشيخ رشيد أحمد الى جوار رحمة الله ، لكنه ظل يتربى في رحاب المدرسة العلمية العريقة، وبدأ يدرس القواعد الأساسية من أصحاب الشيخ رشيد أحمد الأستاذ الشهير اسمه عبد الرحمن المظفر نكري، وأما حفظ القرآن الكريم لقد أكمل على يدى والده، ودرس الكتب الابتدائيه باللغة الفارسية على عمه صاحب المعالي محمد إلياس – رحمه الله– ولقد أكمل محمد زكريا دراسةالكتب الصرفية و النحوية على أبيه. (9) .

يقول علي مياں :لقد نشأ في أفضل البيئات و أتقاها في ذلك العصر،وشتان بينها وبين الفساد الذي عم في البلاد. وأكثرها مواظبة على الآداب والسنن، (10) .

وعندما حبا من عمره السنة الثانية عشرة ، شد الرحال مع والده إلى مدينة سهارنفور، التي كانت مركزاً علمياً كبيراً، وهناك بدأ دراسة معظم كتب الصرف والنحو والأدب والمنطق على والده، ثم اتجه إلى دراسة الحديث الشريف على يديه سنة 1332هـ. وفي أول يوم من دراسته للحديث، اغتسل والده ، وركع ركعتين، وشرع يدرس الكتاب الرئيسى فى فن الحديث الشريف مشكاة المصابيح، فبدأ يتضرع إلى الله داعيا لنفسه ولولده طويلاً، فحينئذ شعر محمد زكريا بأن الحديث النبوي صار بغيته العظمى ومقصده الأكبر. وقد قرأ على والده الكتب الستة، ماعدا سنن ابن ماجه، ثم تتلمذ على يدي العالم الجليل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الجامع الصحيح والترمذي الشريف- - (11) ، وكان شديد الاهتمام بالتوضؤ،قبل قراءة الحديث.(12)

تدريسه

لقد تربع محمد زكريا على منصة التدريس في الجامعة الاسلامية الشهيرة العريقة مظاهر العلوم بمدينة سهارنفور في شهرالمحرم الحرام سنة 1335هـ، وكُلف بتدريس الكتب الابتدائية فيما يتعلق بالصرف والنحو والفقه والمواد الدراسية عن أساس اللغة العربية، ثم أُسندت إليه فنون مهمة في الأدب العربى والفقه الإسلامي، ثم أكرمه الله بتوفيق تدريس بعض أجزاء صحيح البخاري بأمر وإلحاح من مربيه ومرشده خليل أحمد ، كما واصل تدريس مشكاة المصابيح (13).

يقول على مياں كان صغير السن من بين الأساتذة ، ومع ذلك أُلقى على كتفيه مسؤولية التدريس للكتب لا تُعطى فى هذا السن المبكرأو في بداية مسيرته، وقد أثبت جدارته وكفاءته العالية في التدريس. (14)-

سافر إلى الحرمين، وفي سنة 1345هـ، وألقى عصا الترحال عاماً كاملاً، واراح نفسه بتدريس سنن أبي داود في المدينة المنورة بمدرسة العلوم الشرعية لبعض الطلبة القادمين من أنحاءالبلاد كلها- (15)

ثم قدرالله له العودة الميمونة إلى الهند وأعيد إليه مهام تدريس سنن أبي داود وغيره من كتب الحديث وعلى رأسها النصف الثاني من صحيح البخاري في مدرسة مظاهر العلوم، وبعد وفاة مدير المدرسة الشيخ عبد اللطيف – الذي كان يتولى تدريس النصف الآخر من البخاري – أصبح الشيخ زكريا يدرس صحيح البخاري كاملاً حتى سنة 1388هـ، حيث توقف عن التدريس بسبب إصابته بالماء الأبيض في عينيه (16)-

وخلال هذه الفترة، درّس سنن الترمذي وصحيح مسلم وشمائل الترمذي وغيرها من كتب الحديث، وتشرف بتدريس المجلد الأول من صحيح البخاري مرات عديدة، وكذلک سنن أبي داود . وماكان تدريسه للحديث تدريسا شكلياً كسائر الأساتذة، بل كان الحديث الشريف ذوقه وروحه وغذاءه، أحبه حتى امتزج بلحمه ودمه وصار جزءاً من كيانه. (17)

استفادته من شيخه لتأليف الكتب الحديثية :

كان من فضل الله على الشيخ محمد زكريا أن شيخه الجليل خليل أحمد السهارنفوري أبدى رغبة قوية وحرصاً شديداً على القيام بشرح لكتاب سنن أبي داود، وحث محمد زكريا على أن يصبح مساعده الأمين وعضده الوثيق وقلمه الكاتب في هذا المشروع العلمي الكبير. وكان هذا التكليف المبارك بداية سعادته وانطلاقه في ميدان العلم، وسبباً في بلوغه درجة الكمال العلمي، وعلامة على خصوصية لا مزيد عليها في قربه من شيخه وملازمته له. فبدأ الأستاذ خليل أحمد يدله على المراجع والكتب الأساسية التي يمكن استخراج المادة منها، فيقوم تلميذه الرشيد بجمعها وترتيبها، ثم يعرضها على أستاذه، ملتمسا إصلاح ما يراه مناسباً ويدع ما كان صائبا، ثم يذكر ملاحظاته توضيحا فيقوم هو بكتابته. واستمر هذا العمل حتى تم تأليف الكتاب القيم الشهير بالبذل وهو شرح لسنن ابي داؤود. وقد فتح هذا العمل آفاق فكر الشيخ محمد زكريا في مجال التصنيف والتعليق، وأجلى مداركه في الفنون نقلا وعقلا ، و تولّى متابعة طبعه في المطبوعات بنفسه، واهتم اهتماماً بالغاً بتصحيحه وإخراجه في أبهى صورة، بإخلاص كامل وجهد شديد، رغبةً في نيل رضا شيخه، حتى حاز ثقته الكاملة، وكان ذلك سبباً في وصوله إلى مقام الخلافة والنيابة العلمية عن شيخه، وتوجّه الافئدة والمهج إليه، وما أعطي التوفيق له بعد ذلك من أعمال جليلة وأخلاق فاضلة.(18)

وقد ذكر المحدث الكبير السهارنفوري ذلك بنفسه في افتتاح الكتاب البذل ، فقال:

"وساعدني عليه بعض تلامذتي، منهم حبيبي وفلذة كبدي ونورعيني صاحب السعادةالأخ العزيز محمد زكريا ابن محمد يحيى الكاندهلوي رحمه الله، فإني كنت ماأطقت على الكتابة ولا على التتبع، لرعشة حدثت في يدي وضعف في دماغي وبصري، فكنت أملي عليه وهو يكتب، ويتتبع المباحث المشكلة من مظانها، فيسهل عليَّ إملاؤها، فشكر الله سعيه، وأحسن جزاءه، ودوماً بذل فيه من جهده، وأكرمه الله تعالى بعلومه الباطنة والظاهرة النافعة في الدنيا والآخرة، وبالأعمال المبرورة المتقبلة الزاهرة (19)

زواجه

أما عن حياته الشخصية، فقد تزوج الشيخ محمد زكريا مرتين:المرة الأولى: كانت بزواجه من ابنة الشيخ رؤوف الحسن في بلدته كاندهلة، غير أن زوجته توفيت في 5 ذي الحجة سنة 1355هـ.المرة الثانية: كانت بزواجه من ابنة عمه الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي – مؤسس جماعة التبليغ – في 8 ربيع الآخر سنة 1356هـ (20)

وفاة والده

وفي 10 ذي القعدة سنة 1334هـ، انتقل والده الشيخ محمد يحيى إلى رحمة الله تعالى، فكان وقع هذه الحادثة على الشيخ محمد زكريا كالصاعقة، إذ لم يكن والده بالنسبة له أباً فحسب، بل كان أيضاً مربياً وأستاذاً ومرشداً، ففقده بفقدٍ أليم، وحزن عليه حزناً شديداً ظل ملازماً له طوال حياته. (21)

رحلته إلى الحرمين الشريفين

وفق الله تعالى الشيخ محمد زكريا للحج مرات عديدة، وكانت أولى هذه الرحلات في شعبان سنة 1338هـ، حين بلغه أن شيخه خليل أحمد السهارنفوري يعتزم السفر لأداء الحج، فاشتعل في قلبه الشوق لتحقيق هذه الأمنية الغالية، غير أن العقبات المادية وصعوبة توفير نفقات الرحلة كانت تحول بينه وبينها. لكن فضل الله ورعايته يسرت له الأمر، فأزال الموانع، وهيأ له السبل، حتى تحقق له أداء الحج في معية شيخه ومربيه، فكانت له رحلة مباركة حافلة بالمنافع الروحية والعلمية. (22).

وفي أثناء هذه الرحلة، لقد اطلع خليل أحمد على مخطوطة قيمة ن نادرة من مصنف عبد الرزاق، ورغب في شرائها، غير أن صاحبها طلب ثمناً باهظاً حال دون إتمام الصفقة. وعندما علم الشيخ محمد زكريا بالأمر، طلب من مالك المخطوطة السماح بنسخها، فأذن له ظناً منه أن ضيق الوقت – إذ لم يتبق للسفر إلى الهند سوى نحو عشرة أيام – سيحول دون نسخها. غير أن الشيخ

محمد زكريا أخذها إلى مقر إقامته وشرع في نقلها بعزيمة عالية، وشارك بعض زملائه في هذا الجهد، حتى أتموا نسخها ومراجعتها كاملة في تلك المدة الوجيزة، مما أثار دهشة شيخه وإعجابه، فدعا له بخير. (23)

ثم أكرمه الله بالحج مرة أخرى في شوال سنة 1344هـ، أيضاً برفقة شيخه خليل أحمد السهارنفوري، فانتفع كثيراً من مجالسته في هذه الرحلة، وفيها تم تأليف شرح ابى داود الذي أودع فيه خليل احمد خلاصة علمه وتجربته، حتى توفاه الله بالحجاز سنة 1345هـ، ودُفن في البقيع.

وفي المدينة المنورة، شرع الشيخ محمد زكريا – وهو في التاسعة والعشرين من عمره – في تأليف كتابه أوجز المسالك إلى موطأ مالك. وقد تكررت زياراته المباركة للحرمين الشريفين، وكان لهذه الرحلات أثر عظيم في تكوين شخصيته العلمية والروحية.(24) .

ويذكر الشيخ أبو الحسن الندوي – كاتب هذه السطور – أنه سعد بمرافقة الشيخ في إحدى رحلاته، فرأى فيه علو الهمة، وقوة الإرادة، وكمال الأدب مع نبى الله ﷺ، وصدق المحبة والشوق إلى الحضور فى الحرم النبوى، وسمو الاستعداد الفكري والعلمي، وما خصه الله به في تلك المدة من القرب والاختصاص الذي أعاد إلى الأذهان مواقف السلف الصالح، وصدق ما ورد عنهم في كتب التراجم.(25)

وقد كان تلامذته يذكرون أنه إذا جاء خلال التدريس من كتب الصحاح ذكر وفاة النبي ﷺ اغرورقت عيناه، وارتج صوته، وخنقته العبرة حتى يبكي، فيتأثر الطلاب لبكائه ويجهشون بالبكاء بصوت عالٍ. (26)

وفاته :

وكان من أمانيه العظيمة أن يلقى ربه في جوار النبي ﷺ، وينال مدفناً في البقيع الغرقد ويصبح جارالصحابة وأهل البيت العظام، ونالت أمنيته،شرف القبول عند الله لما أقام في المدينة حتى وافته المنية يوم الاثنين، غرة شعبان سنة 1402هـ الموافق 24 مايو 1982م، وصلى عليه إمام المسجد النبوي الشيخ عبد الله زاحم، وشيّع جنازته جمع غفير، ودُفن في البقيع المشرف، اللهم اغفر له وارحمه وجعل الجنة مثواه. (27)

خلقه و أخلاقه

وصف العلامة أبو الحسن الندوي الشيخ محمد زكريا بأنه كان متوسط القامة، ممتلئ الجسم، حسن الملامح، ناصع البياض تميل وجنتاه إلى الحمرة كأن الرمان صُبّ فيهما، كثير الحركة والنشاط، لا يعرف الكسل، لطيف المعشر، بشوشاً ودوداً، مازحاً مع من يأنس بهم أو يرى أن من الواجب أن يأنسهم.

وكانت أخلاقه الحسنة، وتسامحه مع الناس، وتواضعه النادر، جميعها منضبطة بضوابط الإيمان والإخلاص، متناغمة مع مبادئ الإسلام وروح الشريعة المطهرة، وهي صفات نادرة الوجود يصعب أن تجتمع في شخص. (28)

زهده و توكله على الله

وقد ورث الشيخ عن والده – رحمه الله – الزهد والورع والتوكل وحسن الخلق. وعُرضت عليه عدة وظائف مرموقة برواتب عالية تفوق راتبه البسيط في مدرسة "مظاهر علوم" بأضعاف كثيرة، فكان ذلك امتحاناً لإخلاصه وعلو همته، لكنه رفضها جميعاً بثبات وعزيمة. ومن ذلك:

إن أسرة الشيخ كانت على صلة بجامعة "عليكره" (29)منذ تأسيسها، وكان من أقاربه الشيخ بدر المحسن الذي شجعه على التقدم لاختبارات العلوم الحديثة للحصول على وظيفة براتب 300 روبية بدلاً من راتبه البالغ 15 روبية، لكن الشيخ رفض قائلاً: "لا أستطيع أن أبدل تجاه حياتي و أن أ فارق تدريس العلوم الدينية، و على الله رزقى".(30)

أبتُلي الشيخ محمد زكريا بموقف آخر في حياته، إذ ذاع صيته في التدريس وهو ما يزال شابًا، نتيجة مساهمته في التأليف لكتاب "البذل في شرح أبي داود"، ثم انشغل فى التدريس لكتاب "السنن ". فقرّر مجلس أمناء دائرة المعارف في حيدر آباد عرض مهمة تحقيق بعض كتب السنة عليه، مقابل راتب قدره ثلاثمائة روبية، مع توفير سيارة وسكن مجهز، وزيادة سنوية في الراتب. غير أن الشيخ رفض هذا العرض، وكتب للمجلس معتذرًا: "لا أستطيع أن أترك هذا المنصب العلمي"..

لما عرض عليه مجلس الأمناء في دائرة المعارف بحيدر آباد العمل على تحقيق كتب السنة براتب 300 روبية مع سيارة وسكن مؤثث وزيادات سنوية، فاعتذر عن ذلك مفضلاً البقاء في مركزه العلمي.وطلبت منه المدرسة العالية في كلكته أن يتولى منصب "شيخ الحديث" براتب 1200 روبية، فأرسل معتذراً قائلاً: "لست أهلاً لذلك، ومن رشحني فهو من حسن ظنه بي".لم يتقاضَ الشيخ أجراً على تدريسه طوال حياته، وإنما تطوع بذلك، بل حتى المبلغ القليل الذي أخذه في بداية حياته التدريسية أعاده لاحقاً إلى المدرسة. وقد علّق على ميان الندوي على هذه التضحية العظمى قائلاً: "بهذا السلوك رفع الله قدره حتى صار من أشهرالمحدثين والربانيين في شبه القارة ". (31)

منزلته عندعلماء عصره

وقد مدحه عباقرة عصره عربا وعجما، فقال الشيخ محمد يوسف البنوري: "هو بقية من السلف الصالح، مغتبط بكمالاته العلمية والعملية، صاحب المؤلفات النافعة والتعليقات البديعة" (32) .

وقال الشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي: "هو في غزارة العلم وكثرة التأليف كالجهابذة مثل ابن الجوزي و الغزالي في هذا الزمن ، ولا يماثله إلا أبوه (33).

وقال رئيس علماء العرب عبد الفتاح : "العالم الجليل، الفقيه المحدث الكبير، ريحانة الهند والحجاز". وقال السيد محمد بن علوي المالكي: "بقية السلف الصالحين وزينة العلماء، الداعي إلى الله، استاذي ومربي". (34) .

ومدحه الماهر فى فن الحديث النيجاني بأنه "علامة فاضل مدقق محقق". (35) .

أما السيد سليمان فقد روى أن السيد المالكي كان يبالغ فى المدح على كتاب أوجز المسالك بقولهه: "لو لم يصرّح المؤلف في مقدمته بأنه حنفي لظننته مالكياً من دقة وأمانة نقله". وأضاف أبو الحسن الندوي: "الحديث عنده ليس علماً وصناعة فحسب، بل ذوق وحال يعيشه". (36)

أشار على مياں إلى أن المالكي كان يردد: إن مؤلف الكتاب، عند حديثه عن مذهب المالكية وآرائهم و براهينهم، يثير دهشتنا نحن أرباب المالكية لما نجده في نقله من صحة ودقة وأمانة. وكان يضيف: لو لم يُصرّح المؤلف في مقدمة كتابه بأنه على المذهب الحنفي، لما عرفت ذلك، بل لظننته مالكيًا، لأنه أورد في كتاب "أوجز المسالك" مسائل وفروع المذهب المالكي من مصادرهم الأصلية التي يصعب الحصول عليها. (37)-

ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي أن علاقة الشيخ محمد زكريا بالحديث لم تقتصر على كونه علماً وصناعة يتقنها، بل كانت له فيه ذوق خاص وحال قلبي يعيشه ويتنفسه. (38)

وأكد الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف أن كتابه "أوجز المسالك" الواقع في ستة مجلدات يعكس جهداً عظيماً في جمع مادته، واتساعاً ملحوظاً في النقل من كتب الحديث والفقه، مما يجعل مؤلفه جديراً بكل تقدير وثناء. (39)

الإنتاج العلمي للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

لقد جمع الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بين التدريس والتأليف، وظل مداومًا على التصنيف حتى في أسفاره وأوقات مرضه. وقد تنوعت مؤلفاته في علوم شتى، وبلغت قرابة مئة مصنَّف، تراوحت بين المطوَّلات والمختصرات، والرسائل والشروح والتعليقات. وفي مجال الحديث وعلومه، ألَّف كتبًا مطبوعة بالعربية، منها:

الأبواب والتراجم للبخاري ،أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك ،حجة الوداع وعمرات النبي ،حواشي المسلسلات وذيل التيسير ومماالاشک ولاريب انها من الكنوزالارث العربى وكما ترك عددًا من المخطوطات العربية الثمينة الغالية، منها:أصول الحديث على مذهب الحنفية أوليات القيامة تبويب

تأويل مختلف الحديث تبويب مشكل الآثار تخريج الجامع تقرير مشكاة ،تقرير نسائي ،جامع الروايات والأجزاء تلخيص "بذل المجهول"،جزء تخريج حديث عائشة ،جزء الجهاد ،جزء صلاة الاستسقاء،جزء صلاة الخوف ،جزء صلاة الكسوف وجزء ما جاء في شرح ألفاظ الاستعاذة(40)

يُعَدُّ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي من أعلام العلماء البارزين في الهند، وقد عُرفت شبه القارة الهندية منذ العصور القديمة بثرائها في المؤلفات العربية وتنوعها، حيث تناول علماؤها شتى ميادين العلوم والفنون. ويُمثِّل كتابه "أوجز المسالك إلى موطأ مالك" نتاجًا علميًّا متميّزًا من ثمار تلك البيئة الخصبة، إذ قام فيه بشرح كتاب الموطأ شرحًا وافيًا اتسم بالشمول والدقة، فاعتنى ببيان الألفاظ الغريبة، وتوضيح معاني المفردات ودلالاتها، والتنبيه على المسائل اللغوية، ومناقشة أقوال العلماء وآرائهم فيها، كما بذل جهدًا في استقصاء مختلف المواد العلمية ومعالجة المعضلات المرتبطة بفهم المذهب المالكي. وقد تخلل شرحه تناول واسع للقضايا اللغوية بمستوياتها المتعددة؛ النحوية والصرفية والدلالية، مستندًا في ذلك إلى شواهد منتقاة من الحديث النبوي الشريف، مع بيان أوجه الخلاف بين أئمة اللغة حولها. وتأتي أهمية هذا الكتاب من ناحيتين أساسيتين؛ الأولى: غزارة مادته اللغوية وتنوعها، والثانية: إبراز إسهام أحد كبار شراح الموطأ في مجال الدراسات اللغوية، فضلًا عن إيضاح دور علماء الحديث وشراحه في تقعيد الشواهد النحوية والصرفية والدلالية المستمدة من النص النبوي الشريف، مما يرسّخ مكانة هذا العمل في حقل الدراسات اللغوية والشرعية على حد سواء. و خير مثال على زلک مما ذكر محمد زكريا بحثا نحويا وقيعا خلال شرح الحديث الشريف قوله عليه الصلوة والسلام: «االثلث، والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس».(41) وقد تناول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي لفظ «الثلث» ببيان أوجه إعرابه، فذكر أنه بالنصب على الإغراء، أو على تقدير فعل مضمر نحو "أعطِ الثلث" أو "نفِّذ الثلث"، كما يمكن رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره "يكفيك الثلث". وقد اقتصر على ذكر روايتي النصب والرفع دون الإشارة إلى رواية الجر. (42)

أولًا – النصب: يرى الإمام النووي (43) أن نصب "الثلث" الأول في الحديث يكون على وجه الإغراء، وتقديره "الزم الثلث" أو "أعطِ الثلث"، وهو تنبيه للمخاطب إلى أمر محمود يُرغَّب في فعله، مثل قولهم: "الصدقَ الصدقَ" بالنصب على الإغراء. ويكون نصبه مفعولًا به لفعل محذوف تقديره "الزم" أو "أعطِ"، وحكم إظهار هذا الفعل أو إضماره كحكم التحذير، حيث يجب إضماره عند التكرار أو العطف. (44)كما رُوي النصب على أن "الثلث" مفعول لفعل مضمر تقديره "أنفِذْ الثلث" أو "أمضِ الثلث"، وقيل: على الإغراء، وهو وجه بعيد عند بعضهم.

ثانيًا – الرفع: يرى النووي أن الرفع يكون على أنه فاعل لفعل مضمر تقديره "يكفيك الثلث"، أو على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره "الثلث كافيك"، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف. وقد ورد في مرقاة المفاتيح أن نسخة صحيحة من الحديث جاءت بالرفع، غير أن صاحب المفهم أنكر ذلك، وعدّه ضعيفًا، معللًا بأن هذا لا يصح إلا إذا تقدَّم في صدر الكلام ما يدل على الفعل دلالة واضحة. واستشهد في اعتراضه بقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾، (45)حيث اختلف البصريون والكوفيون في رفع "أحد": فالكوفيون جعلوه مبتدأ مؤخرًا والفعل "استجارك" خبرًا مقدمًا، بينما رفعه البصريون بالفعل؛ لأن "إن" لا يليها إلا فعل، والجملة الفعلية هنا في محل خبر. (46)ورأى الشيخ محمد زكريا أن قياس صاحب المفهم لا ينطبق على موضع الحديث، إذ لم يتقدَّم قبل لفظ "الثلث" ما يقتضي هذا التوجيه.

من خلال دراسة الأوجه الإعرابية التي عرضها الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في لفظ «الثلث» يتبين بوضوح أنه يمتلك يدًا طولى في علوم اللغة العربية، وأنه يعالج النصوص الحديثية بمنهج نحوي رصين يجمع بين دقة التحليل وسعة الاطلاع. فقد تناول وجوه النصب والرفع والجر بأسلوب علمي دقيق، مستعرضًا أقوال أئمة النحو واللغة، ومرجحًا ما يراه مناسبًا في ضوء سياق الحديث. كما أظهر قدرة فائقة على الربط بين القاعدة النحوية والشاهد الحديثي، واستحضار الخلافات بين المدرستين البصرية والكوفيّة، وتوظيفها في توجيه الإعراب. وهذا يعكس تمكنه من أدوات البحث اللغوي، وإحاطته بالمصطلحات النحوية والصرفية، مع استيعاب أصول الاستدلال في اللغة. إن معالجته لهذه المسألة النحوية الدقيقة تكشف عن عمق ثقافته اللغوية واطلاعه الواسع على مصادر النحو واللغة، وتبرز ملكته في المقارنة بين الأقوال وترجيح الأوجه الأقوى، في إطار منهج يمزج بين الأمانة العلمية والدقة في التوجيه، مع إلمام بطرق الاستشهاد النحوي من القرآن الكريم والحديث الشريف، مما يرسخ مكانته كلغوي بارع يوظف علوم العربية لخدمة النص النبوي.

وفي الجانب الصرفي والدلالي، أبان الشيخ محمد زكريا عن براعة ملحوظة في تحليل الألفاظ من حيث بنيتها الصرفية ودلالتها السياقية، فاستخرج الجذور، وبيّن الأوزان، وشرح ما يطرأ عليها من تغييرات اشتقاقية أو إعلال أو إبدال، رابطًا ذلك بالمعنى المقصود في النص الحديثي. كما اعتنى بتوضيح الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة، وبيان دقائق الاستعمال في لسان العرب، مع الاستناد إلى المعاجم المعتبرة وطرائق أهل اللغة في الشرح. وكثيرًا ما كان يربط بين التحليل الصرفي والدلالي للوصول إلى تفسير أكثر إحكامًا للحديث، جامعًا بين الدرس اللغوي والنظر المقاصدي في آن واحد. وقد دعم تحليلاته بأقوال أئمة اللغة والفقه لتوثيق النتائج، مؤكدًا أن دراسة الصيغ الصرفية إنما هي وسيلة لفهم أبعاد المعنى

ومقاصد الخطاب النبوي. وهذا الجمع بين التحقيق الصرفي والتحليل الدلالي يعكس تمكنه من أدوات العربية وقدرته على الإفادة منها في خدمة الحديث الشريف، مما يجعل أوجز المسالك مرجعًا مهمًّا في توظيف الدراسات اللغوية لخدمة النصوص الشرعية.

أثره في نشر اللغة العربية في البلاد الأعجمية

تُظهر مؤلفاته ـ بما تنطوي عليه من أسلوب عربي رصين، وتعمق في علوم الحديث واللغة ـ مكانة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في خدمة العربية، ليس في بيئة ناطقة بها، بل في أوساط أعجمية بشبه القارة الهندية، حيث كانت العربية لغة علم ودين أكثر منها لغة محكية. ومن خلال تدريسه وتأليفه، وإكثاره من الشروح والتحقيقات بالعربية، أسهم في ترسيخ مكانتها بين طلاب العلم، حتى أصبحت كتبه مراجع رئيسة في المعاهد الشرعية هناك، وأداة فاعلة في تدريب الألسنة والأقلام الأعجمية على البيان العربي الفصيح. وبذلك كان من أعلام نشر العربية في بيئة غير عربية، جامعًا بين الأصالة العلمية والرسالة اللغوية.

المصادر و المراجع

1. جمال الدين محمد بن عبد الله،شرح الكافية الشافية،الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي،مكة المكرمة،الطبعة الأولى،1982.
2. علي بن (سلطان) محمد، الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م.
3. مالك بن أنس ،الموطا ،صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،2 عام النشر: ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٥ م .
4. محمد زكريا الكاندهلوي. آپ بيتى. سهارنپور: مكتبة الشيخ زكريا، 1981.
5. محمد عاشق إلهي البرني المظاهري. العناقيد الغالية من الأسانيد العالية. بهادر أباد (كراتشي)، باكستان: مكتبة الشيخ محمد يحيى المدني، 1408 هـ / 1988 م.
6. محمد شاهد السهارنبوري. علماء مظاهر العلوم وخدماتهم العلمية والتأليفية. سهارنبور: مكتبة ذكرى الشيخ، 2005.
7. محمد عاشقِ الٰهی المیرتھی،تذکرة الخلیل باللغة الأردیة،دار النشر: مکتبه قاسمیه، لاهور،الطبعة,1990 .

8. محيي الدين يحي بن شرف النووي ،المنهاج شرح صحيح مسلم،الناشر:دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،الطبعة: الثانية، 1392هـ
9. الندوي، أبو الحسن علي الحسني. "مقدمة لداعية الكبير الشيخ محمد اليأس الكاندهلوي". أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001..
10. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 .
11. الندوي، أبو الحسن علي الحسني ،شخصيات وكتب، الناشر:دار القلم – الدار الشامية, الطبعة ،1990.
12. الندوي، أبو الحسن علي الحسني ، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي و دعوته، الناشر: المركز العربي للكتاب, الشارقة، الطبعة الأولى: 1990م.
13. الندوي، أبو الحسن علي الحسني, حضرت شيخ الحديث مولانا محمد زكريا كاندهلوى- لكهنؤ: مكتبه اسلام، 1982-
14. الندوي، أبو الحسن علي الحسني , الامام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ومآثره العلمية، ، بتحقيق: تقي الدين الندوي المظهري،الناشر دارالقلم بيروت، .
15. ولى الدين تقي الدين الندوي مجلة "الأحمدية "الامام المحدث محمد زكريا الكاندهلوي و أثاره في علم الحديث الشرعي العدد السابع بالمحرم ١٤٢٢ الموافق مارس ٢٠٠١ م

.....

الهوامش

[1] الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 ص،56

[2] الندوي، أبو الحسن علي الحسني. "مقدمة لداعية الكبير الشيخ محمد اليأس الكاندهلوي". أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001. ص. 9.

[3] الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 ص،56

[4] وهي إحدى القرى المجامعة في مديرية مظفر نكر في ولاية أترابراديش بالهند، ينسب الشيخ إلى هذه القرية فيقال له : الكاندهلوي

5 الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 ص،56

6 محمد عاشقِ الٰہی المیرتھی،تذكرة الخليل باللغة الأردية،دار النشر: مكتبہ قاسمیہ، لاہور،الطبعة,1990 صفحه ٢٠٢

7 الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 ص،16.

8 أبو الحسن الندوي، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي و دعوته، الناشر: المركز العربي للكتاب, الشارقة، الطبعة الأولى: 1990م،ص،10

9 محمد زكريا الكاندهلوي. آپ بيتى. سهارنپور: مكتبة الشيخ زكريا، 1981،ج-2 ص 20.

10 الندوي أبو الحسن تذكرة شيخ الحديث مولانا محمد زكريا صفحه ٦٧.

11 هو من كبار العلماء الصالحين وكبار الفقهاء والمحدثين، وحصل على الإجازة من كبار المشايخ والمسندين كالشيخ محمد مظهر النانوتوي و الشيخ عبدالقيوم البرهانوي و الشيخ عبد الغنى المجددي. التقى به الشيخ رشيد رضا المصري وتأثر بشخصيته واثني على علماء الهند . توفي سنة (1346ء) في المدينة المنورة، انظر: نزهة الخواطر ٢/١٤٥.

12 محمد زكريا الكاندهلوي. آپ بيتى. سهارنپور: مكتبة الشيخ زكريا، 1981،ج-2 ص 27

13 الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 م ،ص17.

14 المرجع السابق ،ص 18

15 المرجع السابق.

16 المرجع السابق.

17 محمد عاشق إلهي البرني المظاهري. العناقيد الغالية من الأسانيد العالية. بهادر أباد (كراتشي)، باكستان: مكتبة الشيخ محمد يحيى المدني، 1408 هـ / 1988 م، ص. 119.

18 الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 م ، ص،17

19 االمرجع السابق

20 محمد زكريا الكاندهلوي. آپ بيتى. سهارنپور: مكتبة الشيخ زكريا، 1981،ج-2 ص161.

21 المرجع السابق

22 المرجع السابق

23 محمد زكريا الكاندهلوي. آپ بيتى. سهارنپور: مكتبة الشيخ زكريا، 1981، ج-4 ص234.

24 أبو الحسن الندوي ،شخصيات وكتب، الناشر:دار القلم – الدار الشامية, الطبعة ،1990،ص،44

25 الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 م ص،20

26 ولى الدين تقي الدين الندوي مجلة "الأحمدية "الامام المحدث محمد زكريا الكاندهلوي و أثاره في علم الحديث الشرعي العدد السابع بالمحرم ١٤٢٢ الموافق مارس ٢٠٠١ م

27 المرجع السابق

28 الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 م ص،20

29 هي جامعة مدنية حكومية تحت اشراف المسلمين.

30 وهو من أسرة الإمام محمد زكريا الكاندهلوي. ترجمته في " احوال و آثار كاندهله'' ص28

31 محمد شاهد السهارنبوري. علماء مظاهر العلوم وخدماتهم العلمية والتأليفية. سهارنبور: مكتبة ذكرى الشيخ، 2005. ص127 .

32 ندوى، أبو الحسن على الحسنى- حضرت شيخ الحديث مولانا محمد زكريا كاندهلوى- لكھنؤ: مكتبه اسلام، 1982-ص 237

33 ولى الدين تقي الدين الندوي مجلة "الأحمدية "الامام المحدث محمد زكريا الكاندهلوي و أثاره في علم الحديث الشرعي العدد السابع بالمحرم ١٤٢٢ الموافق مارس ٢٠٠١ م

34 ندوى، أبو الحسن على الحسنى- حضرت شيخ الحديث مولانا محمد زكريا كاندهلوى- لكھنؤ: مكتبه اسلام، 1982-ص 140

35 المصدر السابق.

5 ندوى، أبو الحسن على الحسنى- حضرت شيخ الحديث مولانا محمد زكريا كاندهلوى- لكھنؤ: مكتبه اسلام، 1982-ص 243.

6 الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقدمة. أوجز المسالك، تأليف الشيخ محمد زكريا. الطبعة الأولى. دار العلم، 2001 م ص،20 .

7 "مقدمة موطأ الإمام محمد'' صفحه٢١

40 ابو الحسن علي الحسني الندوي الامام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ومآثره العلمية، ، بتحقيق: تقي الدين الندوي المظهري،الناشر دارالقلم بيروت، ص10

[41] مالك بن أنس ،الموطا ،صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،2 عام النشر: ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٥ م /763

[42] المرجع السابق،أوجز المسالك ص 130

[43] محيي الدين يحيى بن شرف النووي ،المنهاج شرح صحيح مسلم،الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،الطبعة: الثانية، 1392هـ ج،1ص،33

[44] جمال الدين محمد بن عبد الله،شرح الكافية الشافية،الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي،مكة المكرمة،الطبعة الأولى،1982،ج،1،ص،43

[45] سورة التوبة،رقم الآية ،6

[46] علي بن (سلطان) محمد، الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م،ج،6،ص،111.